

عقبات فى طريق الدعوة واقترحات للتغلب عليها

**الأستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الجويش
عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين وبعد .

فإن العقبات التي تواجه الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج كثيرة ومتشعبة . وقد
يبدأ بعضها قبل سنى الدراسة وبعضها أثناء الدراسة نفسها وبعضها من المناهج
الدراسية التي يتربى عليها طالب الدعوة وبعضها من الأستاذة الذين وكل إليهم
إعداد الداعية وتوجيهه ، وقد ينشأ بعضها من الوضع العام الذي يتطلب إلى الداعية
أن يعمل من خلاله وأن يساير أوضاعه وأن يغمض العينين عما يقدم عليه رجل في
مواقع المسئولية من تصرفات تعارض القيم التي يحمل الداعية راية الدعوة إليها
وينصب نفسة حريصا عليها ويقع بين شقى الرحى حينما يوجه إليه سؤال أو يرى
وضعا معينا ينتظر منه جهوره أن يكشف لهم عن وجه الحق فيه أو أن يجد بحكم
مسئولته الدينية أن يبين عن مدى إتفاق هذا التصرف أو ذلك الوضع مع القيم التي
يدعو الناس إلى الأخذ بها والسير على منهاجها فإن أبدى وجهة نظر صادقة وإعية أمانة
عرض نفسه لمؤخذات لا يدرى لها نهاية ووضع مستقبله ومستقبل بنيه في مهبط
الريح ، وأن أغمض الطرف عما في هذه الأوضاع من مخالفات ، وعما بها من تعارض
مع القيم التي يقوم على الدعوة إليها وحث الناس على إتباعها فقد ثقة الناس فيه ولم
يجد لدعوته سمعا حين يدعو، وتلقى الناس ما يقوله بكثير من الإستهزاء والسخرية
وشر ما يصاب به الداعية في مجال عمله أن يجد نفسه في واد ومن يدعوهم في واد آخر،
وحيث أنك ينصرف الناس إلى الإستماع من غيره والإقبال على سواء ، وأخذ ما يقوله هذا
الأخر بعين القبول والإعتبار، وينشأ عن ذلك الأخذ بالأفكار غير الناضجة وقبول
الأراء غير المستقيمة لأنها جاءت من طرف آخر غير ذلك الطرف الذي فقدوا ثقتهم
فيه، وفي ذلك ما فيه من خطر على الدعوة وعلى الجمهور الذي تنجبه بالدعوة إليه .

وعلاج هذه الظاهرة أن نؤمن لهذا الداعى مستقبله ونحميه من التعرض له في
حريته أو رزقه أو مستقبل أولاده، فإن تحقق له ذلك إستطاع أن يجهر بالحق بدون

خوف وأن يواجه الخطأ فيدعو إلى إصلاحه على ضوء ما تدعو إليها حينذاك يتردد صاحب النفوذ والمسئولية قبل أن يقدم على تصرف ما لأنه يدرك أن هناك من يجرؤ على التنديد بما يقدم عليه من خطأ دون خوف أو وقوع تحت طائلة التهديد أو العقاب، وبذلك يستقيم قطاع كبير من المجتمع وتمضى الأمور في يسر وسهولة إلى جانب أن هذا النوع ممن يكون في أيديهم مقاليد الأمور يرون أن مكانتهم ستقوى ومراكزهم تثبت حينما يعرف عنهم الإلتزام بالحق والحرص على العدل وفي الوقت نفسة سيال الداعية ثقة المدعوين والجاهير التي يعمل بينها فتسمو مكانته وسمع له حينما يقول، ويطاع حينما يأمر ويؤخذ برأيه حينما تحتاج الأمور إلى مراجعة وبحث لأنه صار معروفاً أنه لا يخاف في الله لومة لائم والنتيجة الطبيعية لذلك أن يتوثق الصلات بين أفراد المجتمع حاكمين ومحكومين، وأن تستجيب النفوس للنصيحة لأنها صادرة عن حر الإرادة، يقول ما يعتقد دون التعرض لمصادرة أو مضايقة أو ما شاكل ذلك من الأساليب التي نعرفها جميعاً والتي تعج بها مجتمعاتنا الإسلامية .

وعند ذلك سنقطع الطريق على كل رأى منحرف، وفكر غير ناضج سواء كان رأياً يلبس لباس الدين، أو كان رأياً ينادى بأفكار تستهوى عقول بعض الناس، وربما ينزلقون إليها حينما لا يجدون الكلمة الحرة والرأى الواضح من الدعاة الذين يتولون هداية الناس وتوجيههم، أذن لتخطى هذه العقبة علينا أن نؤمن للداعية حياة رحية ومسكناً مريحاً، ومقدرة مالية تمكنه من التصرف بين الناس بما يصلح فسادهم ويرأب الصدع الذي وجد في علاقة الداعية بجمهوره نتيجة لضغوط أصحاب السلطة وقبيل كل ذلك، وبعده أن نؤمنه من التعرض لضغوط تقع عليه من هنا أو من هناك .

أما ما يبدأ قبل سنى الدراسة فإن الحالة التي يُرى عليها الداعية في المجتمع من وضع إجتماعى غير لائق، ومن ظروف مالية سيئة، ومن نظرة إلى الداعية في بعض البلاد لا تتم عن الإحترام ولا عن التقدير، ومن مظهر سىء ينشأ نتيجة هذه العوامل مجتمعة يجعل النظرة العامة للداعية نظرة إن خلت من السحرية فلا تخلو من لإشفاقى والعطف الذين يحتاج إليهما رجل في وضع سىء إجتماعى وإقتصادى وكل ذلك، ينعكس على نفس من يقوم بالدعوة ويصيبه بالإحباط. وينظر إلى عمله نظرة من

يتخذ وسيلة ليس أمامه سواها ليحصل على لقمة العيش، فيؤدى عمله إن أداه أليا لاروح فيه ولاحماس ولاحرارة عند ذلك تضع الفائدة المرجوة والنتيجة المنتظرة من الداعية، لأنه لن يستطيع التأثير الإيجابي فيمن حوله بل من المؤكد سيكون تأثيره سلبيًا، وبذلك يفقد القدرة على الاتصال مع الناس، ويعيش بينهم على الهامش، فلا يشارك برأى ولا بتوجيه، ولا يتقرب منه الجمهور شيئا قبل ذلك، لأنه حكم عليه أن يعيش منزويا ضعيف الشخصية فاقد التأثير بسبب ما ينوء تحته من ضغوط تدفعه إلى هذا السلوك دفعا .

فإن رأى شبابنا هذه الصورة التي رسمناها لوضع الداعية في مجتمعه عزفوا عن الرغبة في العمل في هذا الميدان، وبحثوا عن مجال آخر يحقق لهم المكانة والطموح والقدرة على الإبداع والتأثير والإحترام بين الناس .

وهذه الظاهرة مرهونه بأسبابها ودواعيها فإذا أردنا أن نزيل هذه العقبة الكؤود من طريق الدعوة فعلينا أن نبحث عن علاج لإستئصال أسبابها، ويكون ذلك بحصلة واحدة أن أردنا الإختصار هي أن نحقق للداعية «حياة كريمة» ويتحقق ذلك أولا : بأن نأخذ في اعتبارنا أن نجعل للداعية راتبًا سخيا، ولئن حكمتنا في تقدير الرواتب للدعاة قانون الأجور العام للدولة فإننا نستطيع أن نضيف إلى ذلك ما يسمى ببديل تمثيل دعوى على غرار ما يتبع في إحتساب مرتبات الدبلوماسيين مثلا فإنه يضاف إلى أصل المرتب أضعاف كثيرة تجعله قادرا على الوفاء بالتزامات الحياة وأكثر بكثير إن فعلنا ذلك نكون قد حصنا الداعية من ذلة الحاجة والشعور بالنقص .

ثانيا : الداعية له دور فعال ومؤثر إن تحققت له شخصيته المستقلة الغنية صما في أيدى الناس، ولكن عليه بعد ذلك التزامات يتطلبها عمله بحكم صلاحته بالناس وإحتكاكه بهم والنووقف على مشاكلهم وإحتياجاتهم، وخلافاتهم وقد يحتاج ذلك إلى من يقول فيسمع له، ومن يقدر على أن يبع الجمع في مكان خاص به، ويقدم لهم ما يحتاجه هذا اللقاء من مكان صالح للإجتاع ومن تحية تقدم وفي بعض الظروف من طعام يجمعهم عليه ليناقتش معهم بعض القضايا أو المشكلات التي تواجههم

أو تواجه قطاعاتهم ويبحثون لها عن حل، فإن استطاع الداعية أن يقوم بهذه الإلتزامات كان في مركز الدائرة بالنسبة للمجتمع الذي يعمل فيه وكان محط الأنظار تتجه إليه وتضع أمامه مشاكلها فتجد عنده الحل، وتلقى المكان الرحب واللقاء السحح والقول الطيب والقدرة الصالحة، ولكن لا يستطيع أن يحقق ذلك الذي يطلبه منه إلا إذا يسرنا له الأدوات والإمكانات التي تمكنه من التصرف على النحو المشار إليه، وذلك بأن نضع في حطتنا لإعداد الدعوة أن يكون له مسكن مريح مؤثث وأن يلحق به ديوان، يلتقى فيه بأفراد الجمهور ويناقش معهم قضاياهم أو يعرض عليه بعض المشروعات التي يراها نافعة لهم، ولا شك أن وجود هذه الإمكانيات ستدفعه إلى العمل والسعي والبحث والعيش مع الناس في أفراحهم، واتراحهم، وينتج ذلك بأن يخصص له مبلغ يجز من المال يعينه على النهوض بتلك الأعباء مضافا إلى راتبه .

وأنى حينما أقترح أن تهباً للداعية هذه الظروف امتعرض في محبتي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يدعو بنى هاشم إلى الإسلام أعد لهم طعاما وجمعهم عليه مرة وثانية وثالثة حتى تمكن من إخبارهم بها جاء به، وهذا يعنى أن الدعوة إلى لقاء على طعام أو شراب حلال تناقش فيه بعض القضايا الهامة سنة إسلامية أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قواعدهما منذ فجر الدعوة .

وإذا ما كان للداعية هذه المكانة المرموقة في مجتمعه والكلمة المسموعة بين الناس، والمشاركة الفعالة في أمور الحياة إجمعت حوله القلوب وإستطاع أن يعرف قدرات الناس من حوله، وأن يتوسم في أعداد من الشباب والناشئة الإستعداد للعمل النافع الجاد والرغبة في الخدمات العامة، فقام بتوجيههم وتقديمهم للجهات المعنية بإختيار العناصر الصالحة للعمل في مجال الدعوة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ما يتمتع به من وضع متميز قياديا وسلوكيا وخلقيا ودينيا واجتماعيا واقتصاديا سيدفع الكثيرين ممن عندهم الإستعداد الصالح أن يرغبوا في أن يتحقق لهم ما يتحقق له، وأن يسلكوا الطريق الذي سلكه، وبذلك تزول هذه العقبة الأولى من العقبات التي تعترض أمر الدعوة ثم تأتي العقبة الثانية، وهي العقبة التي تعترض الداعية أثناء سنى الدراسة، وهي عقبة ذات شعب .

الشعبة الأولى : الظروف التي تحيط بالطالب في مرحلة الدراسة وهذه الظروف تجعله في أغلب الأحيان ينصرف عن الدراسة إلى عمل ما يجلب عليه من المال ما يستطيع أن يواجه به متطلبات الحياة من حولة ثم يأتي أواخر العام فيبحث عن الكتب يعكف على قراءتها شهرا أو شهرين ثم يجلس إلى الإمتحان يهرغ في ورقته ما علق بذهنه وهكذا حتى ينتهى به المطاف إلى الحصول على الشهادة التي تضمن له عملا إى عمل يكون وسيلة لزيادة دخله يستعين به على مواجهة أعباء الحياة أما الدعوة والتزاماتها فهذه أمور هو مشغول عنها بمطالب الحياة الضرورية وحسبه أن يؤدى الجانب الشكلي منها حتى لا يحرم من عائدة المادى .

ولنزبل هذه العقبة نرى أن لطالب الدعوة حياة عملية جادة خلال النهار، وإقامة مهيأة بكل الوسائل التي تعينه على التحصيل ومكافأة مالية مجزية تجعله لا يفكر في وسائل يكتب منها بعض المال لأنه لم يعد في حاجة إليه، وفي أثناء هذه الإقامة تكون هناك مناهج متتابعة للطالب ترعى سلوكه، وترقب إلتزامه بواجباته الدينية، وتهبى له فرصا منتظمة يلتقى فيها بأشهر الدعاة وأقدر الأساتذة يأخذ عنهم تجاربهم، ويتعرف إلى مناهجهم وأفكارهم، ثم يعقب ذلك حوار يعرض فيه ما يدور بذهنه ويتلقى عنه إجابات مقنعة واعية تفتح أمامه الآفاق، وتضع قدميه على أول الطريق، وبذلك نريه على إستقامة السلوك، والحفاظ على العقائد والعبادات والإلتزام بالقيم والأخلاق، وتكوين الشخصية القيادية المستقلة التي تسم بالقدرة على مواجهة ما يعرض من مشاكل في حكمة وروية وأناة .

والشعبة الثانية من هذه العقبة تحثل في المناهج الدراسية التي يتلقها، فإننا نلاحظ أن الطالب يخرج وليس لديه إلا معلومات غائمة عن كثير من الأمور التي يطلب إليه أن يعالجها ويقدم للناس الرأى الصحيح فيها، وقد تكون الصورة النظرية للمناهج مرضية ولكن التطبيق العملى لها لا يحقق الأمل المرجو منها، وقد يكون السبب الرئيسى في الهبوط بالمستوى إلى هذا الحد أن الإعتداف في التحصيل يقوم على إستيعاب ما يلقى المحاضرون بعد طبعه في مذكرات أو كتب وتقطع الأسباب بين الطالب وبين الرجوع إلى المصادر الرئيسية التي تعالج هذه الأمور وبخاصة في مواد التفسير

والحديث والنقطة والعقائد والأصول ويمكن التغلب على هذا الجانب من هذه العقبة بأن نمد الطالب بالكتب الأمهات في المواد الإسلامية الأساسية ونطلب إلى الأستاذة أن يجعلوها الأساس في تدريبهم ويكلف الطلاب بإعداد بحوث تتناول موضوعات هذه الكتب ومناهج مؤلفيها، ويكون لهذه البحوث، إعتبار عال في تقدير درجة النجاح لكل طالب في آخر العام .

هذا إلى جانب أن يزود الطالب في كل عام بعدد من الكتب الأمهات لتكون نواة لتكوين مكتبته، وتعد مسابقة سنوية للطلاب، في بعض هذه الكتب ترصد لها مكافأة سخية يحصل عليها كل من اجتاز هذه المسابقة بنجاح حسب مستوى نجاحه وأعتقد أننا بذلك نكون قد ساعدنا مساعدة فعلية على تكوين طالب الداعية تكويناً علمياً .

ومن الأسس الهامة التي يجب علينا أن نوليها إهتماماً كبيراً في فترة إعداد الطالب أثناء الدراسة حفظ القرآن الذي يجب أن يلتزم الطالب، إزاه يحفظ ربع القرآن الكريم كل عام من سنوات الدراسة الأربع كما هو متبع الآن ولكنني أرى أن يكون القدر الذي يلتزم الطالب بحفظه هو القدر الذي نقرره عليه في مادة التفسير لتساعد كل مادة الأخرى في درجة الإتقان .

أما الأسلوب الذي يعرض به الداعية أفكاره واللغة التي يستعملها، فيصاب كثير منا بالأسى والضيق حينما يستمع إلى بعض الدعاة وقد أفسد اللحن ما بينهم وبين مستمعيهم وحال ضعف المستوى التعبيري بين الفكرة وبين وصولها إلى المتلقين، ولهذا فأعتقد أننا جبراً لهذا النقص نضيف إلى مواد الدراسة مادة جديدة نطلق عليها «نصوص وأساليب» تقوم على إختيار طائفة من الأساليب والنصوص التي تمتاز بالوضوح والإشراق والقوة والجمال الأدبي والتنظيم الفكري، تدرس للطالب، في هذه المرحلة بإعتبارها نماذج تحتذى في طريقة العرض ووضوح الهدف وأدلة الإقناع وصحة التعبير وسداد الرأي، ويكلف الطالب، بإستظهارها ليكتسب مادة لغوية وتعبيرية تعينه على تحسين أدائه وتسعفه إن أراد الإقتباس، ولاننسى عند دراستها أن يتعرف الدارس من خلالها على صحة النطق نحويًا ولغويًا، بمعنى أن يتعرف على القواعد من خلال دراسة النص .

هناك ملاحظة أخيرة تلك أن مناهج الدراسة تشتمل على محاضرتين في اللغات الأوروبية كل أسبوع خلال سنى الدراسة فإذا أردت أن تتعرف على حصيله هذه الدراسة بعد السنوات الأربع فترى ما يثير الأسى والجزع لضياح هذا الوقت، هدرًا، وغالبًا ما يكون من العسير على الطالب أن يستطيع النطق الصحيح لجمله وإحدة في تلك اللغة علما بأنه قضى قبل ذلك ست سنوات يدرس أثناءها هذه اللغة، ويمكن أن تتصور مدى الفشل الذى نشعر به حينها نجد الطالب، بعد دراسة لغة ما عشر سنوات وقد عجز عن النطق بجمله أو سطر صحيح منها، فما بالك بالقدرة على فهم ما يقرؤه علما بأننا فى حاجة ماسة إلى أن نعد من الدعاة من يكونون قادرين على التحدث ببعض اللغات الأوربية وفهمها فهما جيدا لسببين أولهما يوجد من المسلمين فى أفريقيا وآسيا وأوربا وأمريكا من يتكلم هذه اللغات ولا يفهم سواها فلا بد أن يكون لدينا من الدعاة من يقدر على مباشرة الدعوة بها حديثا وخطابة وكتابة ومناقشة، وقد ندرك مدى أهمية إتقان هذه اللغات، حينما نعلم أن المسلمين الذين يتحدثون الإنجليزية مثلا يفوق عدد المسلمين الذين يتحدثون اللغة العربية ولا بد أن نبلغ الدعوة لهؤلاء باللغة التى يفهمونها هذا أول السببين.

أما السبب الآخر فإنك تجد فى هذه اللغات كتبا كثيرة تتحدث عن الإسلام وعن نبي الإسلام وعن القرآن والسنة والحضارة الإسلامية حديثا فيه الكثير من التشويه والأخطاء وإذا لم نعرف اللغات التى ألفت بها هذه الكتب فنسقف عاجزين عن رد هذه المفتريات هذا من جانب، وسنترك الطريق مفتوحا أمام الأخطاء التى تحفل بها هذه الكتب لتسرب إلى عقول وقلوب المسلمين الذين يقرؤون تلك اللغات، من جانب آخر اذن فلا بد لنا أن نولى دراسة هذه اللغات من الجدوية والإهتمام ما ينهض بها إلى المستوى الذى نطلبه فى رجل الدعوة وبخاصة الذى ينهض بأعباء الدعوة فى بلد تتكلم إحدى تلك اللغات.

وأذكر أننا فى السبعينات فى إنجلترا اطلعنا فى جريدة التايمز وهى أشهر الصحف الإنجليزية على الإطلاق على صورة لشخص يرتدى عمامة ومكتوب أسفل منها محمد يقول للجبل إذا لم تجيء إلى فسأنتقل إليك، وثرت عواطف المسلمين الذين اطلعوا

على هذه الصورة لإيهم أحسوا أن فيها تعريضا برسول الله صلى الله عليه وسلم فكتبنا إلى رئيس التحرير خطاباً نعترض فيه على ما جاء في جريدته ونبين له مدى ما تركت من أثر سييء في نفوس المسلمين فرد الرجل بخطاب يعتذر فيه ، ويقول إنه لم يدر بخلده ولا بخلد أحد من هيئة التحرير أن في ذلك اساءة إلى قراء الجريدة من المسلمين ، ولهذا فهو يعتذر ويتعهد بأن لا يحدث ذلك مرة ثانية ، وهناك وقائع كثيرة مماثلة ليس هنا مجال لسردها .

والشعبة الثالثة : هو إختلاف أهداف مناهج كليات الدعوة المذهبية في العالم الإسلامي فإن هذا الإختلاف يشكل إنقساماً في طريقة الدعاة ، ويؤدى إلى صراع بينهم قد يأتى بأضرار لا حد لها مما نشهد آثاره في كثير من البلدان التى يتوجه إليها مبعوثون للدعوة من مؤسسات مختلفة ، فإنهم يدخلون في صراع يهدد أمن الأماكن وإستقرارها ، ومن أمثلة ذلك أن دارسين في معهد من المعاهد الإسلامية عادوا إلى بلادهم التى يسودها المذهب الشافعى ، ويرى الشافعية أن القنوت في صلاة الصبح سنة وأراد الدعاة الجدد أن يوقفوا القنوت في صلاة الصبح لأنهم درسوا أن رسول الله لم يفعله إلا عند النوازل ، وأخذوا يجادلون في ذلك ويصرون على أن يوقفوا الناس عن القنوت في الصباح حتى امتد الخلاف وهدد بها لا تحمد عقباه لولا أن تدخل شخص في موقع المسئولية فاستدعى هؤلاء وأفهمهم أن هذا أمر خلافي بين المذاهب وليس من الحكمة إثارته وليس أمراً أساسياً في الدين ، ومثل هذا التصرف يحصل في كثير من الأماكن التى يذهب إليها المبعوثون للدعوة ، وحتى لانقع في آثار الفرقة التى تترتب على هذا النزاع يجدر بنا أن نزود الدعاة إلى بلد ما بما يلزمهم الوقوف عليه من حياة هذه المجتمعات وما يتبعه أهلها من مذاهب المسلمين حتى لا يكونوا دعاة قلق وشقاق ، وأذكر أنى مرة في لندن صليت بالناس التراويح في رمضان ثم جاءت صلاة الوتر ، فصليت ركعتى الشفع وسلمت ثم ركعة الوتر ، وأحسث أثر تملل بين بعض المصلين ثم عرفت أن جمهورهم أحناف يصلون الركعات الثلاث بتليمة واحدة مثل صلاة المغرب فشرحت لهم البب ولكنى بعد ذلك كنت أدعوا أحدهم ليؤمهم في صلاة الوتر حتى لا يثور خلاف على أمر لا يترتب على فعله أو تركه حرمة .

وأحيانا تكون العقبة ناشئة من الأساتذة الذين يتولون إعداد الدعاة، فإنهم ينسون أنهم قدوة وأنهم يعدون جيلا يحمل أمانة الدعوة ويلقن مبادئها إلى جيل يأتي من بعده، وهذا يقتضى أن يكون قدوة في رحابه الأفق ولين الجانب، والحلم والأناة، ومجاورة الآخرين بالحسنى

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن . . . ﴾^(١)

ولاشك أن الرفق في الحوار يجعل الطرف الآخر يتخلى عن عناده، وأن العنف يدفعه إلى الشطط ونحن نقرأ جميعا ثناء الله على نبيه بالرحمة واللين وعدم الغلظة ولكننا ننسى ونحن نتحاور مع مخالفينا في الرأي أو العقيدة فنقسمو عليهم، وندفعهم إلى العناد، والله يقول لنبيه صلوات الله وسلامه عليه .

﴿ فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك، فأعف عنهم وأستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾^(٢) (٤٤:٤٤٠)

والأستاذة مطالبون بأن يضربوا المثل لطلابهم حتى يسجوا على متوالهم إذا ما ألقى به في خضم الحياة والتعامل مع أنماط متعددة من الناس ذوي نزعات وطبائع مختلفة بين سلس القياد سهل الأقتناع وبين شמוש جموح العاطفة لا يسر قياده إلا لمن يأخذه بالرفق واللين والأناة، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم [إن الله رفيق يحب الرفق وفي الأمر كله^(٣)] «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على شيء سواه^(٤)» وهنا يحضرنى موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثمامة بن أثال الحنفي سيد أهل اليمامة قد كان أراد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منه، وأهدر رسول الله دمه، وحدث أن خرج من اليمامة معتمر فظفرت به خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنجد فجاءوا به أسيرا، وهم لا يعرفون من هو، فربطوه بإسطوانة عند باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فراه مربوطا فعرفه، وقال لهم : أتدرون من أخذتم؟ هذا ثمامة ابن أثال الحنفي، ثم أمرهم أن يحسنوا إسه، ورجع إلى أهله فأمرهم أن يعيشوا إليه بما عندهم من طعام، وأمر بناقته أن

تذهب إليه في الصباح والمساء ليُشرب من لبنها وكان يمر به ويعرض عليه الإسلام فيأبى ، وكلما سأله ما تقول يا ثمامة؟ أجاب : إن تسأل ما لا أعطه ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تُنعم تُنعم على شاكرك ، وبعد أيام أمر رسول الله أصحابه أن يطلقوه ويفكروا إيساره فخرج الرجل إلى مكان تجتمع فيه المياه خارج المدينة فأغتسل ، ثم عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد شهادة الحق ، ثم قال : يا رسول الله ، والله لقد قذعت عليك وما على وجه الأرض وجه أبغض إلى من وجهك ، ولا دين أبغض إلى من دينك ، ولا بلد أبغض إلى من بلدك ، وما أصبح على وجه الأرض وجه أحب إلى من وجهك ، ولا دين أحب إلى من دينك ، ولا بلد أحب إلى من بلدك .

وقال يا رسول الله إن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فمر من يسيرني إلى الطريق ، فأمر من يسيره ، فخرج حتى قدم مكة ، فلما سمع المشركون به جاؤوه قائلين :

يا ثمامة صبوت وتركت دين أبنتك . قال : لا أدري ما تقولون ، إلا أنني أقسمت برب هذه النية لا يصل إليكم من ثمامة شيء مما تستفعون به حتى تبعوا محمد عن آخركم ، وكانت ميرة قريش ومنافعهم من الياثمة ، ولما عاد حبس عنهم ما كان يصلهم منها ، فلما أضر بهم ما فعله ثمامة كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجدون به ويذكرونه بصلوة الرحم بينه وبينهم قائلين : إن عهدنا بك وأنت تأمر بصلوة الرحم وتحض عليها ، وإن ثمامة قطع عنام ميرثنا وأضرنا ، فإن رأيت أن نكتب إليه أن يخلى بيننا وبين ميرثنا ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن خل بين قومي وبين ميرثهم وكان له مرقف مشهود لما إرتد أهل الياثمة واتبعوا ميلمة الكذاب ، فكان ينهاهم عن تصديق ميلمة وأتباعه ، ويقول : إياكم وأمرًا مظلمًا لا نور فيه ، وأنه لشقاء كتبه الله عز وجل على من أخذ به منكم ، وبلاء على من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة ، فلما عصوه ورأى أنهم قد مالوا إلى متابعة ميلمة عزم على مشارقتهم ، ولما سمع بمرور العلاء بن الحضرمي قال لأصحابه من المسلمين : إني والله ما أرى أن أقيم مع هؤلاء مع ما قد أحدثوا ، وإن الله تعالى نضارهم ببليّة لا يقومون ، بها ولا يقعدون وما نرى أن نخلف عن هؤلاء وهم مسلمون ، وقد عرفنا الذي يريدون

ولا أرى إلا الخروج إليهم ، فمن أراد الخروج منكم فليخرج وإنضم هو وأصحابه من المسلمين إلى العلاء بن الحضرمي وكان لخروجه أثر شديد على معنويات أعدائهم ، وكان يقول عن سبيمة :

دعانا إلى ترك السديانة والهدى سبيمة الكذاب إذ جاء يسجع
فيا عجبا من معشر قد تتابعوا له في سبيل الغي والغى أشنع^(١)

وهكذا كانت هذه المواقف حماساً للإسلام ودفاعاً عنه وجهاداً في سبيله بعد ما رأى من صاحب الرسالة ما رأى من تسامح ورفق وحلم وأناة جعلته ينقلب من عدو محارب إلى مؤمن مستعد للتضحية بالنفس والمال ، واقف بالمرصاد لكل خارج على الدين مضح في سبيله بكل ما يملك من قوة ، وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ولاستوى الحسنه ولا السيئه ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذوا حظ عظيم ﴾^(٢)

وما أحوج الدعوة والقائمين على أمر الدعوة وإعداد رجالها في المعاهد والجامعات أن يأخذوا أنفسهم بهذا النموذج حتى نشق الدعوة طريقها في يسر وسهولة ، هذا الذي تناولناه في الصفحات السابقة بعرض العقبات التي تعترض الدعوة والدعاة في مجتمعاتنا الإسلامية وفي معاهد إعداد الدعاة ، فماذا عن العقبات التي تواجه الدعاة في الخارج؟ إنها عقبات من نوع آخر سنحاول أن نستعرضها ونبحث عن علاج لها على ضوء ما اكتسبناه من تجارب خلال عملنا في هذه المجتمعات فترة من الزمن .

أول هذه العقبات تتمثل في عدم تأهيل الداعية التأهيل المناسب للجهة التي يعمل فيها إما علمياً وإما لغوياً ، وتفصيل ذلك أننا لا نجد العدد الكافي من الدعاة المؤهلين علمياً والقادرين لغوياً على مخاطبة الجماعات التي يتوجهون إليها باللغة التي يفهمونها ، ونشعر بكثير من الحرج حينما نتلقى رغبات الجاليات الإسلامية المعبرة عن حاجتها إلى من يصرهم بأمور دينهم ، فلا نستطيع أن نلبى هذه الرغبات لأننا لا نجد من يقدر على الحديث بلغة هؤلاء ، وقد يكون أسامه العلمي صالحاً لأن يبدأ العمل

ويستكمل ما يشعر به حاجته إليه ولكن لا نصيب له من اللغة فيذهب ثم لا يستطيع أن ينهض بأعبائه فيعطى إنطباعاً سيئاً عن جدوى رجالنا في مجال الدعوة في الخارج، ومثل هذه الظروف وهي ظاهرة موجودة بكثرة في الغرب تعطى الفرصة لشخص ما متواجد هناك ليست لديه المقدرة العلمية للتصدي للتوجيه ولكنه يستطيع أن يخاطب الناس بطلاقة باللغة التي يفهمونها فيتقدم للعمل في مجال الدعوة وقد يكون ضرره أكثر من نفعه وليست هذه النتيجة شاملة لكل من يتصدون للعمل في مجال الدعوة في الغرب، ولكنها غالبية إذ قد وجد من استطاع أن ينجح ويؤثر ولكن ذلك عدده قليل جداً بالنسبة للكثرة الغالبة التي اتخذت ذلك مصدراً للرزق والتكسب والوجهة بين الناس فإذا دعوا للحديث عن الإسلام أمام مؤسسات غير إسلامية - وكثيراً ما يحصل هذا - أساءوا إساءة فاحشة، وأجابوا حينها يسألون إجابات غير صحيحة فكان ضررهم أكبر من نفعهم، وقد تهيئت جامعة الأزهر لهذه الظاهرة منذ سنوات فأنشأت معهد الإعداد والتوجيه، ولكني لأدري ما مصيره الآن وسواء كان باقياً حتى الآن أو لا فإن أثره غير بين، وإني أقترح علاجاً لهذه الظاهرة أن نختر من طلبة كليتنا عندما ننوَسَم فيهم الإخلاص والإستقامة والإستعداد الطيب والرغبة في التزود بالمعرفة، ونبعث بهم في دورات تدريبية إلى المراكز الكبرى في تلك البلاد ليتدربوا على العمل فيها ويكتبوا اللغة باختلاطهم بالناس هناك وينموا مالدتهم منها، فإذا تخرجوا كانت لديهم خبرة بالعمل في تلك المؤسسات، ثم نتبع ذلك بأن نبعث كل من تثبت صلاحيته للعمل في جهة ما إلى تلك الجهة مدة عام مثلاً يتفرع فيها لتحصيل اللغة ويخصص جانب من نشاطه الأسبوعي للتدريب على العمل في ذلك المركز أو تلك المؤسسة، بعد أن يتم اتفاق كامل بين المسؤولين عن البعثات عندنا وبين القائمين على تلك المؤسسات حتى لا يضيع وقت المبعوث في التردد على هذا أو ذاك، على أن يكون واضحاً منذ اللحظة الأولى أن المسئولة المالية تقع بكاملها على الجامعة المرسله حتى لا تعتذر المؤسسات هناك بعدم مقدرتها المالية على إستيعاب هذه الأعداد وأعتقد أننا بذلك نستطيع في مدى خمس سنوات أن نلبى أكثر حاجيات الجاليات والمؤسسات الإسلامية في بلاد الغرب، وسيكون ما أشرنا إليه من قبل عند مناقشتنا لدراسة

اللغات في جامعاتنا وما اقترحنه لتكون تلك الدراسة جادة ومجدية سيكون ذلك مرحلة أولى تسهل تحقيق ما نقترحه هنا .

هناك ظاهره أخرى في مجال العاملين في حقل الدعوة في الغرب يلتمس من قدر له أن يعمل هناك تتمثل تلك الظاهرة في أن كثير من إخواننا من البلاد الإسلامية الذين لهم جاليات في تلك البلاد يبحثون عن يومهم في الصلاة بعد أن يطول بهم الإنتظار في إرسال داعية متخصص إليهم - فإذا وجدوا من يحفظ بعض قصاص السور من القرآن استفدوه ليؤمهم في صلاتهم وليلقن أطفالهم بعض ما يحفظه من السور، ومؤهلات هؤلاء لحي طوبيلة كثة وأجسام ضخام، ومظهر أقرب إلى القبح منه إلى حسن السمات، وهم أشبه ببعض فئات في عدد من بلاد المسلمين يحفظون بعض سور القرآن يردونها عند المقابر ليحصلوا على بعض النقود بصورة لا تليق بكرامة القرآن ولا بمكانة حاملة على أن الخطر الأكبر الذي ينشأ عن هؤلاء المتصدرين للدعوة في بعض أماكن تجمعات المسلمين يجيء من تعرضهم لتحفيظ بعض الأطنال آيات أوسورا من القرآن بصورة منفرة حقا وفي ظروف تغرس في نفس الطفل الإحساس بأن الإسلام دين غير صالح للحياة الراقية، حينما يعود من مدرسته التي قضى فيها يوما كاملا في ظروف مرحة وفي بيئة نظيفة وفي أماكن فيحة معدة بكل وسائل التشويق والترطيب ومع مدرسين أو مدرسات يعاملونه بلطف ورفق، ثم يأتي إلى ذلك الشيخ فيجلس أمامه في مكان ضيق ووضع سيء وعصا غليظة وتصرف جاف وطريقة سقيمة في التعليم تصرف الطفل وتنفره وتغرس في أعماقه الإحساس بعدم الرضا عن انتسابه إلى الإسلام، وهذا هو أخطر ما يترتب على هذه الأوضاع، وواجبنا أن نبحث عن وسيلة تمنع بها هذا التخريب الذي يصيب عقول وإحساس عدد كبير من أبناء المسلمين في بلاد الغرب نسهم نحن فيه بطريق غير مباشر إذا لم نتخذ من الوسائل العاجلة ما يوقف هذه الآثار المدمرة، وقد بذلت محاولات عديدة غير أنها محدودة الإمكانيات ضعيفة التأثير لأنها لا تجد الوقت الكافي، ولا التمويل الذي يحقق المستوي المطلوب لتعليم أبناء المسلمين أصول دينهم بطريقة تبعث في نفوسهم الإعتراف بالانتساب لهذا الدين، وترغبهم في الإقبال عليه، ومن أهم واجبات الدعوة

الإسلامية في الغرب وأولاها بالرعاية الحفاظ على الشخصية المسلمة للأجيال الناشئة في تلك البلاد وتحصينهم ضد الضغوط التي يتعرضون لها في المدرسة وفي الشوارع وفي وسائل الإعلام التي تقدم لهم نماذج من السلوك والأخلاق والمعتقدات يخالف كل المخالفة ما نحاول غرسه في نفوس أبنائنا وتربية أجيالنا على التمسك به والحفاظ عليه حتى نحفظ عليهم دينهم وشخصيتهم المسلمة، ولايتحتم ذلك إلا بتقديم نموذج تعليمي كامل يقدم للناسىء المسلم المعارف العصرية التي يتلقاها لداته في مدراس الدولة التي يعيش فيها يضاف إليها دراسة الإسلام عقائده وأخلاقه ومعاملته، وتعرفه بالقرآن وبمكائنه والسنة ومنزله، والنبي ورسالته وموقفه من الثبوت والرسالات السابقة كل ذلك إلى جانب دراسته لحضارة الإسلام والعطاء السخي الذي قدمته الحضارة الإسلامية للبشرية والجهود التي بذها علماء المسلمين في سبيل تحقيق الرقى الإنسانى سواء في ميدان التشريع أو الإقتصاد أو السياسة أو العلم التجريبية إلى جانب ما دعا إليه الإسلام من مبادئ إنسانية عليا تحفظ على الإنسان كرامته وحرية وقيمه كإنسان مع التركيز على قضايا العصر ويؤكد سبق الإسلام إلى تحقيقها من مثل :

حقوق الإنسان، والتسامح، وحرية الفكر ومخاربة التمييز العنصرى، والتكافل الإجتماعى هذا إلى جانب دراسة اللغة العربية وآدابها حتى يتمكن من الأضطلاع باللغة العربية والتحدث بها وإنطلاقا من الإحساس بهذا الواقع الذى يتعرض له الناشئة من الأجيال المسلمة في الغرب تقدمت بالإقتراح التالى فى ذى الحجة سنة ١٣٩٠هـ فبراير سنة ١٩٧١م إلى مجلس أمناء المركز الإسلامى المكون من سفراء الدول الإسلامية كى يعوا لدى دولهم ليتعاونوا على تطبيقه فى البلاد الغربية وفيها بلى نص لهذا المشروع لعل الأوان قد آن ليحقق هذا الحلم على يد هذا المؤتمر الموقر الذى ضم قادة التوجيه الإسلامى فى الجامعات الإسلامية :

مشروع إنشاء مدرسة إسلامية

تمهيد : يعاني أبناء الجالية الإسلامية في إنجلترا من ضياع خطير يتهدد مستقبلهم، وبخاصة أبناء السلك السياسي، والقادمين في بعثات دراسية أو تدريبية تتراوح بين ثلاث سنوات أو خمس، وسبب ذلك أنهم لا يجدون المدرسة المناسبة التي يتلقى فيها أبنائهم تعليماً متصلاً بالبيئات والثقافات في البلاد التي قدموا منها، والتي سيعودون إليها للعيش فيها مستقبلاً.

وقد حلت الجاليات الأجنبية في بلادنا العربية والإسلامية هذه المشكلات بالنسبة لأبنائهم من أول الأمر. فأقاموا المدارس الخاصة بهم يعلمون فيها أبنائهم بالطريقة التي يحبونها والبلاد الإسلامية خاصة بهذه المدارس التي ترتبط بإسم الجاليات التي تمثلها.

ويفتق أعضاء السلك الإسلامي والعربي كثيراً من الأموال لتعليم أبنائهم في المدارس الخاصة، ثم يشعرون آخراً بأن النتيجة التي وصل إليها الأبناء لم تكن هي الصورة المنتظرة ولا المرجوة، وكذلك الحال بالنسبة لأبناء الموسرين من أهل البلاد العربية والإسلامية الذين يبعثون بأبنائهم إلى هذه البلاد وسواها ورغبة في الحصول على فرصة أحسن مما هو ميسر في بلادهم، أولاً لأن بلادهم ليس فيها من المؤسسات التعليمية ما يتمكن من الوفاء بتقديم القدر الثقافي المطلوب لتأهيل النشء إلى الإلتحاق بالجامعات، والتمكن من الإضطلاع على وسائل التربية الحديثة، أو لعدم توفر العناصر ذات الكفاءات التعليمية والتربوية التي نستطيع النهوض بمثل هذا الواجب.

وفي دور التعليم هنا من أبناء الدول الإسلامية والعربية وبخاصة دول الخليج المثبات بل الآلاف من الناشئة الصغار الذين يحتاجون إلى رعاية وتوجيه خاص، يتناسب مع عقائد بلادهم، وتقاليدهم، وهم هنا يتلقون توجيهات خاصة،

ويشبون على إنتهاج مثل معبته، ويأخذون بنماذج من السلوك والتربية والإخلاق تجعلهم يشعرون بالعربة والقلق حينما يعودون إلى بلادهم، ويقعون في مناقضات مع أهلهم وقومهم ومواطنيهم، ويتشأ عن ذلك نوع من الصراع يؤدي إلى بعد الهوة بينهم وبين مواطني بلادهم، ويكون النتيجة أما أن يتركوا بلادهم ويهاجروا إلى بلاد أجنبية، أو يتحولوا إلى عناصر هدم تعود بالضرر الجسيم عليهم وعلى مواطنيهم، ويلاهم هي الخسارة في كلتا الحالتين خسارة مزدوجة تناول الأبناء والأموال اللذين هما زينة الحياة الدنيا، ومن أجل هذه الصورة التي رسمتها والتي أحتت بآثارها بحكم بقائى هنا سنوات إلى جانب ما أحسى به مما يعانيه الجيل الجديد من أبناء المسلمين المستقرين في هذه البلاد فإننى أتقدم بالمشروع التالى، راجيا أن ينال إهتمامكم الشخصى وإهتمام أعضاء المجلس جميعا، فيتعاون الجميع على عمل مشترك نؤمن به مستقبلا أبنائنا، ونساعدهم على خدمة بلادهم، والحفاظ على مقوماتهم الدينية، وشخصيتهم الإسلامية.

أولا : العمل على إقامة مدرسة إسلامية ذات مراحل أربع : روضة، ابتدائى، إعدادى، ثانوى . حتى يمكن إستيعاب كل الأعمار من الثالثة حتى السادسة عشرة .

ثانيا : أن يكون بالمدرسة قسم داخلى بكل إستعدادته يهيء للتلاميذ إقامة مضمونة، وبخاصة القادمين من البلاد العربية والإسلامية، وبعض أبناء الجالية الإسلامية بإنجلترا الذين يرغبون فى إلحاق أبنائهم بالمدرسة وليسوا مقيمين بلندن، أو يقيمون فى أماكن نائية عن المدرسة وتخضع تلك الإقامة لنظام دقيق وسليم بحيث يحقق للطالب كل ما تشتهه التربية الحديثة فى حدود التقاليد الإسلامية ومبادئها .

ثالثا : أن تزود المدرسة بسيارات لإحضار التلاميذ من منازلهم وإعادتهم إليها بعد الدروس .

رابعا : أن يلحق بالمدرسة مسجد يباشر فيه التلاميذ الصلاة حتى ترتبط فى أذهانهم

منذ الصغر ارتباط الثقافة بالعقيدة، وتؤدي دروس الدين في المسجد ليطبق عمليا ما يقال نظريا .

خامسا: تزويد المدرسة كذلك بصالات للعرض المينيائي ونواد للألعاب الرياضية، وحمامات للسباحة، ومكتبة شاملة تغطي كل المستويات المطلوبة .

سادسا: نظام الدراسة يسير على النحو التالي :

١ - تقوم المدرسة بتدريس المنهج المتبع في مدارس الحكومة في إنجلترا الأنجليزي، في فرنسا الفرنسي في ألمانيا الألماني، في إيطاليا الإيطالي وهكذا كما هو بكل عواده وكما هو موجود في المدارس الحكومية، وبذلك يتحقق للتلميذ القدر الدراسي الذي يتلقاه زميله غير المسلم في مدارس الدولة .

٢ - يضاف إلى المنهج السابق مايلي :

(أ) دراسة الدين الإسلامي عقائده وعباداته وأخلاقه وآدابه ونشريعاته ومعاملاته .

(ب) دراسة التاريخ الإسلامي بعيدا عن الخلافات السياسية والمذهبية .

(ج) دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية ومكانتهما في الإسلام وما يدور حولهما من دراسات .

(د) دراسة الحضارة الإسلامية وما قدمته للإنسانية في تاريخها الطويل مع الإشارة إلى عدد من الذين أسهموا في البناء الحضاري الإسلامي بجوانبه المختلفة من علوم إنسانية إلى علوم تجريبية .

(هـ) دراسة اللغة العربية قواعدها وأدائها ليتمكن التلميذ من قراءة القرآن قراءة صحيحة ومتابعة الفكر الإسلامي في القديم والحديث .

ونتيجة الدراسة على هذا النحو أن يتخرج التلميذ وقد تهيأ للإلتحاق بأي جامعة يريد في الشرق أو في الغرب مع التروء بقدر كاف من الثقافة والمعارف الإسلامية تجعله

على بصيرة بأمور دينه إن اتجه إلى جامعات الغرب ، وتسهل له الإنتظام مع زملائه في الجامعات الإسلامية إن رغب في ذلك بدون أن يشعر بأى نقص أو قصور، وفي الوقت نفسه تعطى فرصة نادرة ليتعرف جانب ضخم من أبناء العالم الإسلامي بعضهم إلى بعض .

سابعاً - تكون المدارس بمصاريف بالنسبة للقادرين كما هو الحال بالنسبة لأى مدرسة خاصة أخرى ويعفى منها أو من بعضها غير القادرين إذا حققوا نتائج عالية في الإمتحانات .

ثامناً - يعين للمدرسة مدير مسلم ومدرسون أكفاء في موادهم ، وإن وجد من الإنجليز مدرسون مسلمون يفضلون على غيرهم في حراسة المواد التى تدرس باللغة الإنجليزية وكذلك الحال بالنسبة للمدراس التى تقام في بلاد تتحدث الفرنسية أو الألمانية أو الإيطالية .

خاتمة إذ رأى السادة أعضاء المجلس أن يحثوا دوفهم على الإسهام في تنفيذ هذا المشروع فسيؤدون ولاشك خدمة جليلة تذكر لهم ولا تنسى ، ويتم المشروع بعد إقناع الحكومات الإسلامية به بأن تجمع المبالغ المطلوبة لإقامة البناء والإنفاق على المدرسة وما بها من مدير ومدرسين وموظفين وعمال وأجهزة صيانة وما إلى ذلك ويمكن الإهتمام في عملية الإنفاق بما تتبعه المدارس الخاصة الأخرى هنا أو في بلادنا .

هذا وأسأل الله التوفيق إلى خير العمل

كان هذا هو المشروع الذى قدم منذ ستة عشر عاما وقد أخذته كثير من المسؤولين وحولوه إلى حكوماتهم وحوله بعضهم إلى منظمة دول المؤتمر الإسلامى بجدة .

ولازال هذا المشروع يحتاج إلى من يضعه موضع التنفيذ في كل بلد فيه أقلية إسلامية ، ولعل مؤتمرهم الموقر يعطيه دفعة إلى الأمام فيتحقق الحلم الذى طال إنتظاره، ويكون قد خطا خطوة عملية في وضع السياسة التى نجتمع من أجلها في مؤتمرات أخرى مماثلة موضع التنفيذ .

ثاني هذه العقبات عدم توفر الإمكانيات المادية التي تساعد على قيام المؤسسات الدعوية في الغرب بواجباتها، وخضوع ما يتيسر من الإمكانيات لبعض الصلات الشخصية التي تترتب على لقاء بعض العاملين في حفل الدعوة هناك بمن عندهم مقدرة مالية يعرف منه عجزاً في ناحية ما فيقدم له من العون ما يسد ذلك النقص سداً مؤقتاً، ولكن لا يمثل استمراراً لتحقيق سياسة طويلة الأمد في هذا المجال، ومرجع هذا النقص إلى عدم وجود خطة بعيدة المدى تلبي إحتياجات الدعوة من النشرات والكتب التي يحتاجها العمل في ذلك الميدان وأذكر أنني أثناء عملي في لندن كنت أتحول في بعض الأسواق العامة التي تنصب في أحياء مختلفة من لندن يوم السبت من كل أسبوع فلقد انتباهي منظر قسيس يدعو الناس إليه ويعرض عليهم بعض المطبوعات فدنوت منه أنا وصاحبي ومدعنا أيدينا إليه فأعطى كل واحد منا نسخة من الإنجيل مطبوعة طبعاً أنيقاً على ورق فاخر ومجلده تجليداً ممتازاً وتفهرس الرجل في وجوهنا فعرف أننا شرقيون فسألنا عن لغتنا فلما أخبرناه بأنها العربية مد يده إلى مستودع أمامه فأخرج نسختين من الإنجيل باللغة العربية ونسختين من أسطواناته عليها تراتيل باللغة العربية أيضاً وقال لنا إنه لا يريد منا سوى أن نزره في كنيسته وانصرفت وأنا مستغرق في تفكير عميق في كيفية استغلال هؤلاء لكل الظروف وتوافر الإمكانيات التي تيسر لهم العمل في خدمة أهدافهم وعجبت كيف يتيسر لهذا القسيس في قلب لندن نمح الإنجيل واسطوانات التراتيل باللغة العربية، والمركز الإسلامي قائم في قلب لندن منذ سنوات وليس لديه من ترجمات القرآن الكريم إلا نسخ معدودة في المكتبة لمن يتردد عليها للقراءة فيها . ولا يستطيع القائمون بالعمل في المركز أن يقدموا نسخاً من ترجمة القرآن لمن يطلبونها من أفراد وهيئات ومؤسسات وكشفت هذه المصادفة العابرة عن النقص الخطير الذي نواجهه فإذا طلبنا مطبوعات من بلد جاءتنا مطبوعات باللغة العربية أغلبها دعاية للحكام وأصحاب السلاطين، وإن كنا قد استطعنا بعد ذلك أن نحصل على أعداد وفيرة من ترجمات القرآن الكريم بعث بها بعض المحسنين في العالم العربي لما بلغتهم قصة القسيس وما لديه من إمكانيات، ولكن ذلك يكشف عن أن تصرفاتنا في مجال الدعوة بعامة إنها هي ردود فعل لأحداث، عارضة تثير الحمية والحماس ثم لا تلبث أن تفتت ويعود الأمر إلى ما كان

عليه، والذي ينبغي أن يكون أن ينطلق العمل الإسلامي بعامته والدعوى بصفة خاصة من خطة ثابتة طويلة الأمد يتتابع على تنفيذها كل من يعمل في تلك المجالات ويحكمها تنسيق عام بين المؤسسات العاملة في حقل الدعوة ونتيجة لإنعدام خطة ثابتة ينطلق منها العمل الإسلامي تجتهد الأماكن التي تتعرض لظروف غير عادية نتيجة لأحداث طبيعية كونيّة كالزلازل والبراكين أو لأحداث من صنع الإنسان كالحروب التي تنشأ بين بعض الدول وتعرض الكثيرين لأهوال الحرب وويلاتها فيفرون إلى أماكن يلجئون إليها يحتاجون فيها إلى رعاية صحية أو مساعدات في الطعام والإقامة والكساء في هذه الظروف تجتهد الذين يقدمون هذه المساعدات هم رجال المؤسسات الكنسية وناشطاً ما تجتهد مؤسسة إسلامية يكون لها وجود وسبب ذلك أن الآخرين ينظفون حسب خطة مرسومة موضوعة تعطى الإنطباع بأنهم هم الذين يحملون هموم البشرية ويسعون للتخفيف عن ويلاتها، وليسوا أكثر من مالاً ولا عدداً، ولكنهم أحسن تنظيمًا وإعداداً تجتهد آثارهم في أفغانستان وبنجالدش والصومال وليتكن وسواها من المناطق التي تتعرض لويلات الحرب والدمار وليس يخفى على أحد الإنطباع الذي يتركه هذا التصرف في نفوس الجياع والمرضى والذين فقدوا ديارهم وإستقرارهم واعتقد أن بعضاً منكم قد تراءى إلى سمعه بعض أبناء هذه الصفة الغريبة التي تمت في الصومال عقب الحرب بينها وبين الحبشة والتي نتج عنها عدد كبير من اللاجئين إلى الصومال بعد أن اجتاحت الحبشة مناطق مكنهم، فقد تقدم قسم بلجيكي إلى المسؤولين الصوماليين بأن يتولى رعاية عدد من أطفال اللاجئين وتمت الصفة بتسليم أكثر من ثلاثين ألف طفل من أطفال المسلمين يرعاهم ويربيهم ويعلمهم، فعلا سيربيهم على تعاليم الإسلام أم تعاليم النسيحية؟ وماذا سيعلمهم القرآن أم الأنجيل اعتقد أن الإجابة معروفة للجميع، ولكن لا لوم عليه ولا غبار فهو رجل مخلص لسعوته بخدمتها بكل الوسائل، ونحن مفرطون في واجباتنا مشغولون بأنفسنا وأجدادنا الفارغة، ينطبق علينا قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يَحْمِلُوا يِمَامًا لَمْ يَفْعَلُوا قَلِيلًا تَحَسَّبُهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾^(١) وقس على ما حصل في الصومال ما يحصل في بلدان كثيرة من بلاد المسلمين ونحن غافلون، والأمر جد سهل لو صدقت النوايا

وصحت العزائم ، فلوا انتهزنا فرصة هذا المؤتمر وأنشأنا المجلس العالمي للدعوة وسعينا إلى أن نجمع له من سرة المسلمين رأس مال يقدر بمليار دولار توظف في استثمار حلال وينفق من ريعه على إحتياجات الدعوة في الشرق والغرب فإننا ستمكن بعون الله من التواجد في كل طرف من أطراف الأرض، المسلمة نحمد الكل ونكسب المعدوم وتعين على نوابب الدهر، وتقدم الطعام للجائع والكساء للعارى والمأوى للطريد والأمن للخائف والعلاج للمريض والعلام للجاهل .

ولأقرب صورة التصرف للاخوة الفضلاء إننا إذا وفقنا إلى الحصول على هذا المال بإسم الهيئة المقترحة وأنشء لها مجلس عن يقع الإختيار عليهم من العاملين المخلصين ووظف المال كما اقترحنا فإنه لن يأتي بعائد سنوى أقل من مائة مليون دولار نستطيع أن نقيم في أفريقيا وآسيا مائة مؤسة سنوية بها مدرسة ومستشفى ومجد ومجلات أخرى للعمل تنتج وتمتوعب عددا من الأيدي المسلمة العاملة، وفي غضون عشر سنوات ستمستطيع بعون الله أن تلبى الحاجات الملحة للمسلمين وتبدأ فقيم لهم المصانع والمؤسسات الإنتاجية بعد أن تخصصهم بالقيم الدينية في المساجد، والمعرفة النافعة في المدارس والسلامة الصحية، في المستشفيات، ثم تطلق بعد ذلك إلى دعوة غير المسلمين الذين سيرون الصورة الطيبة المشرقة التى أوجدتها الإسلام، فهل يا ترى إلى هذا من سبيل، وما ذلك على الله بعزير.

ثالث هذه العقبات : إنعدام التعاون بين المؤسسات الإسلامية التى تعمل في حقل الدعوة ويمتد نشاطها إلى العمل الخارجى ومرد ذلك فيما أعتقد هو حب الذات والرغبة في الإشادة بالجهة التى تقدم المساعدة مما يفسد عليها عملها، ويضيع ثمرته وقد يكون السبب المباشر في ذلك إنعكاس الصراع السياسى بين الحكام على العمل الإسلامى ، فىعى كل أن يكون له من يدين بالولاء له في نظير أن يقدم له بعض العون المادى وقد عانى العمل الإسلامى كثيرا من هذه النزعة وأنفقت أموال على جهات ليس لها عمل إيجابى في الحقل الإسلامى ، وترتب على ذلك أن طغى على السطح أعداد كثيرة اتخذت من الإسلام سلما تصعد عليه إلى أغراضها الخاصة، وتأخرت مشروعات كان وجودها مفيد أو نافعا للجاليات الإسلامية في مواقعها،

ولاشك أن هناك مبالغاً لا بأس بها كانت تنفق سنوياً، ولكن جدواها لا يكاد يحس بها أحد لأنها لم تذهب إلى مصارفها الصحيحة وقد لمسنا ذلك أثناء العمل في لندن فاقترحنا أن تؤلف لجنة من ممثلين للدول التي تقدم تبرعات للماجد والمؤسسات الإسلامية في إنجلترا ومعهم ممثل للمركز الإسلامي في لندن توجه إليها الطلبات التي ترد إلى هذا الدول طالبة المساعدة المالية، وتبعث كذلك بما تريد أن تسهم به في العمل الإسلامي في هذا البلد إلى هذه اللجنة وتدرس اللجنة الطلبات المقدمة وتقدر لكل مشروع ما يحتاجه وتقدم ما تراه أولى بالبدء لمبررات تعرفها وتعرضها وبذلك نضمن توجيه المساعدات إلى متحفيها ونساعد على تنفيذ المشروعات الأكثر أهمية، ولكن للأسف لم يؤخذ بهذا الاقتراح ولا زالت الأمور تمضي حسب قناعة المسؤولين في مؤسسة من المؤسسات بحاجة هذا أو ذلك، ولست أعنى بذلك أن كل ما يبذل يمضي بلا فائدة، بل أن أموراً كثيرة تذهب إلى مصارفها الصحيحة وبخاصة بعد أن بدأ نوع من التعاون بين ممثلي السفارات والعاملين في المركز الإسلامي، ولكن الوضع الأمثل لتحقيق أكبر قدر من النفع أن يؤخذ بالاقتراح السابق، لتعم الفائدة ويقدم الأهم على المهم .

هذا هو ما بدا لي أن أعرضه على هذا المؤتمر الموقر وأسأل الله أن يسدد خطانا إلى خير العمل فمنه العون وبه التوفيق والسداد .

الهوامش

- ١ - النحل ١٢٥
- ٢ - آل عمران ١٥٩ .
- ٣ - متفق عليه البخاري ١٠ / ٣٧٥ ، مسام (١٦٥)
- ٤ - رواه مسلم رقم (٢٥٩٣) .
- ٥ - الإمتعاب لابن عبد البر يذيل الإصابه ج١ ص ٩٧ وما بعدها .
- ٦ - سورة فصلت ٣٣ / ٣٤ / ٣٥ .
- ٧ - آل عمران ١٨٨